Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى غير عامل البيئة يعّول ابن رشيق حدوثه فى اقتفاء المحتذى (بكسر الذال) أثر المحتذى (بفتح الذال) فى الوزن والقافية و « الصانع إذا صنع شعراً ما وقافية ما ، وكان لمن قبله من الشعراء شعر فى ذلك الوزن وذى الروى وأراد المتأخر معنى به فأخذ فى نظمه ، أن الوزن يحضره والقافية تضطره وسياق الألفاظ يحدوه حتى يورده نفس الكلام الأول ومعناه حتى كأنه سمعه وقصد سرقته وإن لم يكن سمعه قط »(٦) .

فالاستدعاء الحسى من وجهة نظر ابن رشيق عامل مهم فى حدوث التوارد ، وإذا حدث هذا فعلا فإن الشاعر الموهوب هوالذى يستطيع تجاوزه وتخطيه ، لأن النية والحوار من العوامل الفارقة بين النصوص السابقة والنصوص اللاحقة فضلا عن قدرة الشاعر المتأخر على هضم ما حفظ وتصريفه فى مجاريه الخاصة. وهذه جميعا لو توفرت لمنعت وقوع الحافر على الحافر حتى ولو تمت المعارضة بوزن واحد وقافية واحدة(٧) . ولهذا لا ينبغى كما يقول القزوينى « لأحد بت الحكم على شاعر بالسرقة لم يعلم الحال ، وإلا فالذى ينبغى أن يقال : قال فلان كذا ، وقد سبقه إليه فلان كذا ، فيغتنم به فضيلة الصدق ، ويسلم من دعوى العلم بالغيب ، ونسبة النقص إلى الغير »(٨) .

فلا يُوجد فى الواقع الفعلى توافق تام فى الصور التى تتكرر فى تأليف الكلام كما أنه لا توجد حقائق مطلقة بالنسبة إلى النص الإبداعى وإن كانت « توجد مجموعة من الخطط لها وظيفة تحفيز القارىء ليحدد لنفسه « الحقائق » ... وتؤدى هذه الخطط إلى ظهور أوجه من « الصدق » الخفى غير اللفظى ، وينبغى لهذه الأوجه أن يركبها القارىء الذى يعيد إعادة مستمرة تنظيم البؤرة وبذلك يخلق فكريا حالة إجمالية »(٩) فالخطط باعتبارها شكلا أجوف قد تكون موضوع التوارد لكن إتراعها بالمعرفة هو محك تفرد المبدعين .

(٦) قراضة الذهب ص ٤٣ .
(٧) راجع فى هذا : السينية عند كل من البحترى وشوقى على سبيل المثال .
وراجع : لزكى مبارك ـــ الموازنة بين الشعراء بصدد هذه الفكرة .
(٨) الإيضاح ص ٤١٥ ـــ ص ٤١٦ .
(٩) المعنى الأدبى ص ٤٤ .